Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal

Volume 17
Issue 1 العدد السابع عشر

Article 9

2019

نشأة التَّعليل الصَّرفيّ

الأستاذ المساعد الدكتور محمود فوزي الكبيسي
الجامعة العراقية – كلية الآداب

الباحث جبـــــر جـــــربوع فـــــــــهد
الجامعة العراقية – كلية الآداب

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad

Part of the Arts and Humanities Commons, and the Law Commons

Recommended Citation

الأستاذ المساعد الدكتور محمود فوزي الكبيسي, and الباحث جبـــــر جـــــربوع فـــــــــهد (2019) "نشأة التَّعليل الصَّرفيّ," *Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal*: Vol. 17: Iss. 1, Article 9.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol17/iss1/9

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

نشأة التَّعليل الصَّرفيّ

الاستاذ المساعد الدكتور
محمود فوزي الكبيسي
الجامعة العراقية – كلية الآداب

الباحث
جبـــــر جـــــربوع
فـــــــهد
الجامعة العراقية – كلية الآداب

The formation of Morphological Explanation

Assistant Professor
Mahmoud Fawzi Al Kubaisi
Ph.D

researcher
Jabir Jarboo' Fahad

ملخص البحث

علم التَّصريف هو أشرف علوم العربيَّة وأغمضها، فالصَّرف كما قالوا هو أمُّ العلوم، والنَّحو أبوها. ولمَّا كان التَّعليل الصَّرفيّ هو روح الدِّراسات الصَّرفيَّة، كان من المهمّ بمكان أن يقف الباحثون على مناهج التَّعليل الصَّرفيّ، وأساليبه في الدِّراسات والمحاضرات والمصنَّفات الصَّرفيَّة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

وأنا أضع بين يدي القارئ الكريم بحثاً متواضعاً أقف فيه على جانبٍ من جوانب نشأة التَّعليل الصَّرفيّ منذ أن بدأ التَّعليل يصبح منهجاً منتظماً، وذلك على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. إلى أن نضج هذا العلم واكتمل على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبرز تلاميذه عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ(سيبويه).

Abstract

Morphology is the most honorable and mysterious science, so morphology as they said is the mother of sciences, and grammar is the father. When the morphological explanation was the spirit of the morphological studies, it was so important for the researchers to stand on the approaches of the morphological explanations, and its style in the studies and the lectures and the morphological classification in any time and place. And I put between the hands of a reader a simple research stand in it on one side from the sides of the formation of the morphological explanation, since it started to be considered as an organized approach, and that by Abd Allah bin Abi Ishaac Alhadrami Till the science grew up and finished by Al khalil bin Ahmed Al Frahidy, the best of his students is Omar bin Othman bin Qanbar whose is known by (Sibawayh)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلِّم على خاتم النَّبيين، وإمام المتَّقين، وسيِّد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ التَّعليل هو جوهر الدِّراسات اللُّغوية بنحوها وصرفها ولغتها وأصواتها، وغير ذلك من علوم اللُّغة العربيَّة. فالتَّعليل هو الطَّريق الوحيد الموصل إلى تقعيد القواعد، وتأصيل الأصول، ووضع الأحكام والضَّوابط لكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من ظواهر اللُّغة.

ولمَّا كان علم التَّصريف هو أشرف علوم العربيَّة وأغمضها، فالصَّرف كما قالوا هو أمُّ العلوم، والنَّحو أبوها[1]. ولمَّا كان التَّعليل الصَّرفيّ هو روح الدِّراسات الصَّرفيَّة، كان من المهمِّ بمكان أن يقف الباحثون على مناهج التَّعليل الصَّرفيّ، وأساليبه في الدِّراسات والمحاضرات والمصنَّفات الصَّرفيَّة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

وأنا أضع بين يدي القارئ الكريم بحثاً متواضعاً أقف فيه على جانبٍ من جوانب نشأة التَّعليل الصَّرفيّ منذ أن بدأ التَّعليل يصبح منهجاً منتظماً، وذلك على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. إلى أن نضج هذا العلم واكتمل على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبرز تلاميذه عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ(سيبويه).

وقد جاء هذا البحث في ثلاثة أجزاء هي: تمهيدٌ ومبحثين، وقفتُ في التَّمهيد على بداية التَّعليل الصَّرفيّ بشكل عام، وأثبتُّ أن التَّعليل الصَّرفيّ نشأ مع نشأة علم التَّصريف، وكانت بدايته الحقيقيَّة مع بداية التَّصريف. والتَّصريف على أصحِّ الآراء نشأ مع نشأة النَّحو على يد أبي الأسود الدؤليّ، ثم على أيدي تلاميذه الأوائل من بعده.

وأمَّا المبحث الأوَّل فقد اشتمل على المرحلة الأولى من نشأة التَّعليل الصَّرفيّ كعلمٍ متبلورٍ في كلام النَّحويين والصَّرفيين، فإذا كان كلُّ من تكلَّم في التَّعليل النَّحويّ والصَّرفيّ قد أكَّد كما أكَّدت أغلب كتب التَّراجم أنَّ التَّعليل بدأ بدايةً علميَّةً على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ، الَّذي كان " أوَّل من بعَّج النَّحو، ومدَّ القياس، وشرح العلل"[2].

فإذا كان الأمر كذلك فإنَّ المرحلة الأولى من مراحل نشأة التَّعليل الصَّرفي تبدأ بعبد الله بن أبي إسحاق، وتنتهي بآخر معاصريه، وهو أبو عمرو بن العلاء.

لذلك جاء المبحث الأوَّل من هذا المبحث في جهود ثلاثةٍ من كبار النُّحاة في التَّعليل الصَّرفيّ، مع التَّمثيل لتعليلاتهم الصَّرفيَّة، وهم: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر الثَّقفيّ، وأبو عمرو بن العلاء.

وأمَّا المبحث الثَّاني فقد جعلته للمرحلة اللَّاحقة لهذه المرحلة، أو المرحلة الثَّانية من مراحل التَّعليل الصَّرفيّ، وهي المرحلة الَّتي نضج هذا العلم فيها على يد كلٍّ من: يونس بن حبيب، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه.

وقد تتبَّعت جهود هؤلاء العلماء الصَّرفيَّة، وتعليلاتهم في مؤلَّفاتهم، أو ما نُقل عنهم في مؤلَّفات غيرهم، أو من ترجم لهم. مستعيناً بكتب كبار الأساتذة المعاصرين كالمدارس النَّحويَّة لكلٍّ من إبراهيم السَّامرَّائي، وشوقي ضيف، وخديجة الحديثيّ، بالإضافة إلى كتاب شذا العرف في فنِّ الصَّرف، للشَّيخ الحملاوي، والحلقة المفقودة للدكتور عبد العال سالم مكرَّم، وتاريخ النَّحو للدكتور عليّ النَّجديّ، وكذلك بكتابين للدكتور مهدي المخزوميّ أحدهما بعنوان الخليل بن أحمد الفراهيديّ، والآخر بعنوان عبقريٌّ من البصرة.

Published by Arab Journals Platform, 2019

ثم ختمت هذا البحث بخاتمةٍ أودعتها ما وصلت إليه في نهاية هذا البحث من النَّتائج المستفادة من هذه الدِّراسة المتواضعة.

التَّمهيد
نشأة التَّعليل الصَّرفيّ

بدايات ظهور التَّعليل الصَّرفيّ:

لمعرفة بدايات التَّعليل الصَّرفيّ ونشأته لا بدَّ من التَّعرُّف على نشأة علم التَّصريف وبداياته الأولى، وقد أثبتت معظم الدِّراسات والبحوث العلميَّة الرَّصينة أنَّ التَّصريف صنو النَّحو وتوأمه، بدأ من حيث بدأ النَّحو، وانتهى إلى حيث انتهى، وتطوَّرا معاً.

وقد نشأ النَّحو واكتمل في البصرة في القرن الأوَّل والنِّصف الأوَّل من القرن الثَّاني للهجرة، ووُضعت فيه البحوث والكتب القيِّمة، منها كتابان لعيسى بن عمر الثَّقفيّ المتوفَّى سنة (149هـ) قال فيهما إمام العربيَّة الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفَّى سنة (175هـ)[3]:

بَطَلَ النَّحوُ جَمِيعًا كُلُّهُ غَيرَ مَا أَحدَثَ عِيسَى بنُ عُمَر
ذَاكَ إكمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ فَـهُـمَـا لِـلنَّـاسِ شَمسٌ وَقَمَـر

وأخذ الكوفيون النَّحو عن البصريين، وبرع منهم فيه معاذ بن مسلم الهرَّاء[4] المتوفَّى سنة (187هـ)، قال ابن خلكان[5]: لمعاذ تصانيفُ كثيرةٌ لم تظهر. وقيل: إنَّ عناية البصريين بالنَّحو كانت أكثر منها بالتَّصريف، وإنَّ عناية الكوفيين كانت أكثر من عنايتهم بالنَّحو، وقيل: إنَّهم أوَّل من وضعوا التَّصريف[6].

والقول بأنَّ البصريين كانت عنايتهم بالنَّحو أكثر منها بالتَّصريف، والعكس بالنِّسبة للكوفيين، وأنَّ الكوفيين أوَّل من وضع علم التَّصريف كلامٌ فيه نظر، وكما سنبيِّن فيما يأتي.

والَّذين قالوا بهذا القول استدلوا بقصَّة أبي مسلم الخراسانيّ[7] المتوفَّى سنة (137هـ) مع معاذ بن مسلم الهرَّاء، حيث دخل الخراسانيّ على الهرَّاء وهو يناظر رجلاً ويقول له: كيف تقول من (تَؤُزُّهُم أزًّا): يا فاعل افعل، وصلها بيا فاعل افعل من (وَإذَا

المَوؤُدَةُ سُئِلَت). وكان أبو مسلم قد نظر في النَّحو، ولم يكن له في التَّصريف نظرٌ، فلمَّا سمع هذا الكلام أنكره، ونهض فقال في النَّحويين[8]:

قَد كَانَ أَخذُهُمُ فِي النَّحوِ يُعجِبُنِـي حَتَّى تَعَاطَوا كَلَامَ الزِّنجِ والرُّومِ
لَمَّـا سَمِـعتُ كَـلَامَـاً لَستُ أفـهَـمُـهُ كَـأَنَّـه زَجَـلُ الغِـربَـانِ وَالـبُـومِ
تَـرَكتُ نَحـوَهُـمُ وَاللهُ يَعصِمُنِـي مِـنَ التَّقَحُّـمِ فِـي تِـلكَ الجَـرَاثِيمِ

قال الزَّبيدي في جواب هذه المسألة: " يا آزُّ أُزَّ، وإن شئتَ: أُزِّ، وإن شئتَ: أُزُّ، وإن شئتَ: أُوزُزْ. فالفتح لأنَّه أخفُّ الحركات، والكسر لأنَّه أحقُّ بالتقاء السَّاكنين، والضَّمُّ للإتباع، وكذلك يا وَائِدُ إِد. مثل: يا وَاعِدُ عِد "[9].

وإذا أمعنت النَّظر في هذه القصَّة، وقارنتها بغيرها من الرِّوايات الَّتي ثبتت في نشأة النَّحو والتَّصريف تجد أنَّ هذه القصَّة لا تمثِّل دليلاً كافياً لإثبات ما ذهب إليه السُّيوطيُّ المتوفَّى سنة (911هـ) بقوله: " ومن هنا لمحتُ أنَّ أوَّل من وضع التَّصريف معاذٌ هذا "[10]. ولا تدلُّ أيضاً على أنَّ التَّصريف قد نشأ في الكوفة؛ لأسبابٍ كثيرةٍ منها: أنَّ كتاب يزخر بالمسائل الصَّرفيَّة العويصة، كما أنَّ أمَّات الكتب النَّحوية كالكتاب والمقتضب والأصول وغيرها تعجُّ بالآراء الصَّرفيَّة لنحاة البصرة، وكما سنبيِّن.

نـقـط الإعـجـام :

لقد تضاربت الآراء في البداية الأولى لعلم التَّصريف، فمِن قائلٍ أنَّ هذا العلم موجودٌ قبل الإسلام[11]، وآخرَ ينسبه للصَّحابيّ الجليل معاذ بن جبلٍ (رضي الله عنه)[12] وثالثٌ يذهب إلى أنَّه بدأ على يد الإمام عليّ بن أبي طالبٍ (رضي الله عنه)[13] ورابعٌ يرى أنَّ واضعه هو أبو الأسود الدُّؤليّ المتوفَّى سنة (69هـ) مع علم النَّحو، وأكثر النَّاس على أنَّ الَّذي وضع علم التَّصريف هو معاذ بن مسلم الهرَّاء تبعاً لما ذهب إليه السُّيوطيّ[14].

والحقُّ أنَّ أقرب هذه الأقوال إلى الصِّحَّة هو الَّذي يذهب إلى ولادة هذين العلمين التَّوأمين في وقتٍ واحدٍ على يد أبي الأسود – رحمه الله – ، وستتضح لنا صحَّة هذا الرَّأي عند تتبُّع خطوات نشأة هذا العلم وتطوُّره على أيدي علماء البصرة، ومن أشهرهم نصر بن عاصم اللَّيثيّ المتوفَّى سنة (89هـ)[15].

والَّذي يبدو لي أنَّ أوَّل عملٍ صرفيٍّ خالصٍ جاء في إطارٍ منهجيٍّ واضحٍ هو ما قام به نصر بن عاصم، فإذا سلَّمنا أنَّ نقط أبي الأسود هو عملٌ نحويٌّ بامتياز؛ لأنَّه وضع النُّقطة فوق الحرف الأخير من الكلمة أو تحته أو بين يديه – بحسب ضمِّ الفم عند النُّطق به أو فتحه أو كسره – ومنه أُخذت أسماء الحركات الإعرابيَّة: الضَّمَّة والفتحة والكسرة. فإنَّ ما فعله نصر بن عاصم هو عملٌ صرفيٌّ بامتياز؛ فقد وضع هذه النُّقاط فوق الباء والقاف والجيم وغيرها إلى آخر الحروف الهجائيَّة[16]؛ للحفاظ على أبنية الكلمات من اللِّحون الصَّرفيَّة الخطيرة، الَّتي قد تؤدِّي إلى ضياع اللُّغة وذوبانها في اللُّغات الأخرى .

المبحث الأوَّل

مراحل نشأة التَّعليل الصَّرفيّ.

المرحلة الأولى: كيف كان التَّعليل الصَّرفيّ قبل الخليل ومعاصريه؟

Published by Arab Journals Platform, 2019

بعد أن تعرَّفنا على مرحلة نشأة علم التَّصريف، وهي ذاتها مرحلة نشأة علم النَّحو على يد أبي الأسود الدُّؤليّ وأشهر تلاميذه، ولم تكن تلك المرحلة تمثِّل شيئاً من مراحل التَّعليل الصَّرفيّ؛ فلم يُشر أحدٌ من العلماء والباحثين إلى أنَّ أحداً من روَّاد تلك المرحلة قد ذكر العلل، أو تكلَّم في التَّعليل، حتى جاءت المرحلة اللاحقة، وهي مرحلة تلاميذ تلاميذ أبي الأسود، الَّتي تُعدُّ بحقٍّ مرحلة النَّشأة للتَّعليلات النَّحويَّة والصَّرفيَّة. ومن أشهر روَّادها:

1- عبدالله بن أبي إسحاق الحضرميّ:

وهو مولى آل الحضرمي، وهم حلفاء بني عبد شمس. وهو أحد الأئمَّة في القراءات والعربيَّة، أخذ القرآن عن يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وأخذ النَّحو عن ميمون الأقرن، وأبي حرب بن الأسود، وتوفِّي سنة (117هـ)، أو سنة (127هـ) على اختلاف الرِّوايات[17].

قال عنه ابن سلَّام: " كان أوَّل من بعَّج النَّحو، ومدَّ القياس، وشرح العلل "[18]. أمَّا أبو الطَّيِّب اللُّغوي فيقول: " كان أعلم أهل البصرة وأعقلهم "[19]، كما يقول: " فرَّع عبدالله بن أبي إسحاق النَّحو، وقام فتكلَّم في الهمز حتَّى عمل فيه كتاباً "[20]. وأمَّا تلميذه يونس بن حبيب المتوفَّى سنة (182هـ) فيقول في وصفه: " هو والبحر سواءٌ "[21]. ويفسِّر الدُّكتور عبد العال سالم مُكرَّم ذلك بقوله: " أي هو الغاية "[22].

وقبل أن نسترسل في شرح الأمثلة الَّتي يتَّضح فيها التَّعليل الصَّرفيّ عند ابن أبي إسحاق ومعاصريه من علماء النَّحو والصَّرف، لابدَّ أن نعرِّج على مسألةٍ في غاية الأهمِّيَّة، وهي كون هذه المرحلة الَّتي نضج فيها هذين العلمين كانت مرحلة التَّعليل البسيط المتجرِّد من غوامض الفلسفة وتعقيدات المنطق، المعافى من أسقام الجدل وعلل الكلام، كما أنَّه اتَّسم بشيءٍ من الإجمال في بيان العلل للقواعد والأحكام، نحويَّةً كانت أم صرفيَّة.

وقد كنت أنوي أن أحتجَّ في إثبات ذلك والرَّدِّ على من يقول بأنَّ الحضرميَّ ومعاصريه وتلاميذهم قد تأثَّروا بالفلسفة الإغريقيَّة، والمنطق الأرسطيّ، ردَّاً استند فيه إلى ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلَّم) وأصحابه الكرام من التَّعليلات الَّتي صدرت عن الفطرة السَّليمة، والعقول المستنيرة بما جاء في كتاب الله تعالى، وسنَّة نبيِّه الكريم، فأتردَّد وأحجم عن ذلك؛ لأنَّه أمرٌ لم يسبقني إليه أحدٌ، ولا أحبُّ أن أكون بدعاً من الباحثين والدَّارسين، حتَّى وجدتُ أنَّ الدُّكتور عبد العال سالم مُكرَّم قد تطرَّق إلى ذلك في كتابه (الحلقة المفقودة)، فجاء بالشَّواهد الَّتي تثلج الصُّدور، وتبعث الطُّمأنينة في نفوس الباحثين عن الحقِّ.

فالدُّكتور عبد العال بعد أن ذكر أقوال العلماء، وأهل التَّراجم في ابن الحضرميّ، نجده يتساءل مُستغرباً بقوله: " هذه النُّصوص تشير إلى حقيقةٍ فحواها أنَّ ابن أبي إسحاق هو أوَّ من مدَّ القياس، وشرح العلل، وهو أشدُّ تجرُّداً للقياس، فمن أين تسرَّب هذا القياس إلى النَّحو العربيّ في هذا الوقت المبكِّر؟ "[23].

ويستطرد الدُّكتور عبد العال مبيِّناً أنَّ بعض الباحثين عزَّ عليهم أن يجدوا مثل هذا القياس في النَّحو العربيّ في هذه المرحلة المبكِّرة من تاريخ النَّحو العربيّ، وذكر من هؤلاء الباحثين الدُّكتور إبراهيم السَّامرَّائي[24]، وأنَّهم لمَّا قالوا بهذا القول وجدوا أنفسهم

مضطرّين ليخرجوا من هذا الإشكال، فلم يجدوا أمامهم غير نسبة هذا القياس بما فيه من شرحٍ للعلل إلى المنطق الأرسطيّ[25].

يقول الدُّكتور إبراهيم السَّامرَّائي: " إنَّ التماس العلَّة والتَّمسك بالقياس لا يلتئم والطَّبيعة النَّحويَّة ... ولكنَّ النُّحاة ابتداءً من عبدالله ابن أبي إسحاق الحضرميّ ساروا في هذا السَّبيل محاكاةً للمناطقة والمتكلِّمين، وأصحاب الجدل، وكان من تمام الأدوات لدى المثقَّف أن يُلمَّ بمنطق أرسطو، وآراء إفلاطون، وحكمة سقراط، ولذلك أقبلوا على ذلك إقبالاً كلَّفهم عناءً، ولاسيما في علوم العربيَّة "[26].

ثمَّ قال الدُّكتور عبد العال: " الحقُّ أنَّ قياس عبدالله بن أبي إسحاق، والأقيسة النَّحويَّة الَّتي ظهرت على أيدي النُّحاة بعده إلى عصر سيبويه لم يكن قياس منطقٍ وجدلٍ، بل قياس فطرةٍ وطبيعةٍ ... ولا أعدو الحقيقة إذا قلتُ: إنَّ هذه الأقيسة الفطريَّة قد أشارت إليها نصوصٌ قديمةٌ قبل أن يظهر ابن أبي إسحاق في حقل النَّحو "[27].

ثمَّ ساق الدُّكتور عبد العال بعض النُّصوص الَّتي تُثبت ما ذهب إليه ، مع جملةٍ من أمثلة الأقيسة النَّبويَّة في أحاديثَ صحيحةٍ قد ثبتت نسبتها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلَّم)، سنورد منها مثالاً أو مثالين على سبيل الاستئناس لا الحصر، ومن أراد فليرجع إليها في كتاب الحلقة المفقودة[28].

المثـال الأوَّل: ما جاء في الحديث " أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلَّم) لمَّا بعث معاذ بن جبلٍ إلى اليمن قال له: كيف تصنع إن عرض لك قضاءٌ؟ قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن. قال: فبسنَّة رسول الله. قال: فإن لم يكن في سنَّة رسول الله. قال أجتهد رأيي ولا آلو. قال معاذ: فضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلَّم) صدري، ثمَّ قال: الحمد لله الَّذي وفق رسولَ رسولِ الله لِما يُرضي رسول الله "[29].

المثـال الآخر: " عن ابن عبَّاسٍ (رضي الله عنهما): أنَّ امرأةً أتت رسول الله (صلى الله عليه وسلَّم) فقالت: إنَّ أمِّي ماتت وعليها صوم شهر رمضان. فقال: أرأيتِ لو كان عليها دينٌ أكنتِ تقضينه؟ قالت: نعم. قال: فدين الله أحقُّ بالقضاء "[30].

ونكتفي بهذين المثالين لضيق المقام، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى المصدر الَّذي أشرنا إليه، وإلى كتاب أقيسة النَّبيِّ المصطفى (صلى الله عليه وسلَّم) تصنيف الإمام ناصح الدِّين عبد الرَّحمن الأنصاريّ المعروف بابن الحنبليّ المتوفَّى سنة (634هـ).

فإن قيل: هذا القياس فما بال التَّعليل؟ وما علاقة ما ذكرته بالتَّعليل الصَّرفيّ؟ فالجواب على ذلك: أنَّ القياس والتَّعليل متلازمان تلازم النَّحو والتَّصريف، فكما أنَّ النَّحو والتَّصريف قد وُضعا وتطوَّرا معاً، فإنَّ القياس والتَّعليل النَّحويين والصَّرفيين قد ظهرا وتطوَّرا معاً، في ظروفٍ وأحوالٍ مماثلة. وما القياس في حقيقة الأمر إلَّا طريقةً من طرق التَّعليل نحويَّاً كان أم صرفيَّاً.

قال الدُّكتور محمد خير الحلواني: " وغالباً ما نجد المذهب البصريّ يزاوج بين العلَّة والقياس، وما القياس إلَّا تعليلٌ لوجهٍ ما، وربطه بوجهٍ آخرَ يحمل ما يحمل من الظَّواهر "[31].

وإلى ما ذهب إليه الدُّكتور عبد العال سالم مُكرَّم ذهب كلٌّ من الدُّكتور مهدي المخزوميّ، والدُّكتورة خديجة الحديثيّ. فأمَّا الدُّكتورة خديجة الحديثيّ فتقول: " أمَّا التَّعليل

Published by Arab Journals Platform, 2019

فلم يتَّضح عندهم ما رُموا به من أنَّهم قد أفسدوا النَّحو بتعليلاتهم، وإنَّما كان تعليلهم – كما لاحظنا عند النَّحاة ومنهم الخليل وسيبويه – يرد على الصُّورة السَّهلة الواضحة الَّتي يدعوا إليها البحث في الظَّاهرة، وعرض أحكامها وأصولها، من تبيينٍ لعلل ورود هذه الموضوعات، أو الظَّواهر الإعرابيَّة والصَّرفيَّة والصُّوتيَّة على الصُّورة الَّتي وردت ..."[32].

وأمَّا الدكتور مهدي المخزومي فقد طرح قضيَّة تأثُّر النَّحو العربيّ بمنطق أرسطو منطلقاً من مقالةٍ للدُّكتور إبراهيم بيومي مدكور، قائلاً: " وقد وجدتُ وأنا في طريق البحث في نحو الخليل مقالةً للدُّكتور إبراهيم بيومي مدكور، ألقاها في مؤتمر مجمع فؤاد الأوَّل للُّغة العربيَّة (1948 – 1949م)، وموضوعها: (منطق أرسطو والنَّحو العربيّ)، والدُّكتور ممَّن يقف الدَّارس عند آرائه فيما يتعلَّق بالفلسفة وتاريخها. وكان لابدَّ لي أن أقف عند مقالته هذه؛ لأنَّها تمسُّ الموضوع، ولها بنحو الخليل صلةٌ؛ لأنَّها تتناول علاقة المنطق بالنَّحو العربيّ، وبنحو الخليل"[33].

وفي هذه المقالة – كما أشار الدُّكتور المخزومي – ذهب الدُّكتور بيومي إلى تأثُّر النَّحو العربيّ بالمنطق تأثُّراً يمسُّ المنهج والموضوع بحسب وصف الدُّكتور مهدي المخزوميّ[34].

ثمَّ أخذ الدُّكتور المخزوميّ يردُّ على هذه المقالة، وبحسب ترتيب النُّقاط والفقرات الَّتي جاءت في المقالة، والَّتي تفيد بهذا التَّأثُّر ردَّاً مفصَّلاً ومطوَّلاً، لا سبيل إلى ذكره هنا. ولكنَّ يُختصر بأنَّ مدرسة نصيبين السِّريانيَّة كانت قد ظهرت في أواخر العصر الأمويّ بعد تنقيط المصحف، وأنَّ التَّشابه بين في التَّقسيم والمصطلحات بين كتاب سيبويه وبين منطق أرسطو أم لا يمكن الاطمئنان إليه، وأنَّ تلمذة حنين بن إسحاق للخليل لم تثبت؛ لأنَّ حنيناً هذا قد وُلد بعد وفاة الخليل بزمنٍ ليس بالقليل[35].

ولنعد إلى أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عند عبدالله بن أبي إسحاق، فقد نُقل عنه أنَّه كان دائماً ما يتعرَّض لشعر الفرزدق بالنَّقد والتَّخطئة، ممَّا دفع الفرزدق إلى أن يهجوه قائلاً[36]:

فَلَو كَانَ عَبدُاللهِ مَولَى هَجَوتُهُ وَلَكِنَّ عَبدَاللهِ مَولَى مُوَالِيَا[37]

فما كاد ابن أبي إسحاق يسمعه حتَّى قال: " أخطأتَ أخطأتَ، إنَّما هو مَولًى مُوَالٍ "[38].

وتقول الدُّكتورة خديجة الحديثي في ذلك: " ومعنى هذا أنَّه لاحظ استعمال الكلمات الَّتي مثل (مُوَالٍ) هذه من المنقوص الَّذي على وزن (مُفَاعِل) فوجدها في كلام العرب لا تُستعمل استعمال الممنوع من الصَّرف، إنَّما تُعلُّ إعلال (قَاضٍ)، وذلك بحذف الياء منها تشبيهاً لها بياء (قاضٍ)، وإن كانت غير منوَّنةٍ فيها، والتَّعويض عنها بالتَّنوين، فيُقال: مَولًى مُوَالٍ مثل: كَلَامُ قَاضٍ، لا مولًى مواليَ "[39].

ومن أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عند ابن الحضرميّ أنَّه كان يذهب إلى منع صرف الاسم المذكَّر إذا سُمِّي به مؤنَّثٌ وهو ثلاثيٌّ ساكن الوسط. قال سيبويه: " فإن سمَّيتَ المؤنَّث بـ(عمرٍو) و(زيدٍ) لم يجز الصَّرف. هذا قول ابن أبي إسحاق وأبي عمرو، فيما حدَّثنا يونس وهو القياس؛ لأنَّ المؤنَّث أشدُّ ملائمةً للمؤنَّث، والأصل عندهم أن يُسمَّى المؤنَّث بالمؤنَّث، كما أنَّ أصل تسمية المذكَّر بالمذكَّر "[40].

ومن المعلوم أنَّ التَّذكير والتَّأنيث من المباحث الصَّرفيَّة، وقد علَّل ابن أبي إسحاق منع الاسم المذكَّر من الصَّرف بعلَّتين صرفييتين: الأولى تسمية المؤنَّث به. والثَّانية سكون أوسطه إن كان ثلاثيَّاً.

وأمثلة التَّعليل الصَّرفي عند ابن أبي إسحاق كثيرةٌ جدَّاً، متفرّقةٌ في كتب التَّراجم والطَّبقات وفي أمَّات الكتب النَّحوية كالكتاب والمقتضب والأصول وغيرها، ومجموعةٌ في بعض الكتب الحديثة مثل كتاب الحلقة المفقودة والمدارس النَّحوية لشوقي ضيف وخديجة الحديثيّ وغيرها من البحوث القيّمة والدِّراسات الرَّصينة الَّتي تناولت المصادر النَّحوية القديمة بالدَّرس والتمحيص.

وبذلك يكون ابن أبي إسحاق هو بحقٍّ أوَّل من مدَّ العلل وتكلَّم فيها، وفتح باب التَّعليل النَّحويّ والصَّرفيّ، ومهَّد لمن بعده من النُّحاة طريق الأخذ بالعلل والأسباب، ومنهج التَّعليل البسيط الَّذي ينطلق من الفطرة السَّليمة معتمداً في ذلك التَّعليل القياس على السماع، والرِّواية، والنَّقل، الَّذي جعلوه معياراً لتعليلاتهم وأقيستهم غير متأثِّرين بمنطقٍ وغيره.

2- عيسى بن عمر الثَّقفيّ:

هو أبو عمر عيسى بن عمر الثَّقفيّ المتوفَّى سنة (149هـ)، وقيل: مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف فنُسب إليهم، وكان ثقةً عالماً بالعربيَّة والنَّحو والقراءات، وكان فصيحاً يتقعَّر في كلامه، أخذ النَّحو عن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرميّ، وقيل: كنيته أبو سليمان أو أبو عمرٍو[41].

وهو أبرز تلاميذ ابن أبي إسحاق، مضى على هديه يُطرد القياس ويُعمِّمه، وكان مثل شيخه يطعن على العرب الفصحاء إذا خالفوا القياس[42].

ومن أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عند عيسى بن عمر الثَّقفي ما جاء في كتاب سيبويه ونصُّه: " وقد قال الَّذين يُخفِّفون: {أَلَّا يَسْجُدُوْا للهِ الَّذِيْ يُخْرِجُ الخَبَ فِيْ السَّمَاوَاتِ} [سورة النَّمل، الآية: 25] حدَّثنا بذلك عيسى بن عمر، وإنَّما حذفتَ الهمزة هنا؛ لأنَّك لم تُرد أن تُتمَّ وأردتَ إخفاء الصَّوت، فلم يكن ليلتقي ساكنٌ وحرفٌ هذه قصَّته، كما لم يكن ليلتقي ساكنان، ألا ترى أنَّ الهمزة إذا كانت مُبتدأةً محقَّقةً في كلِّ لغةً فلا تبتدئ بحرفٍ قد أوهنته؛ لأنَّه بمنزلة السَّاكن، كما لا تبتدئ بالسَّاكن "[43].

ومنها قول سيبويه: " وقد يقول بعض العرب: (ارمْ، واغزْ، واخشْ) حدَّثنا بذلك عيسى بن عمر ويونس. وهذه اللُّغة أقلُّ اللُّغتين، جعلوا آخر الكلمة حيث وصلوا إلى التَّكلُّم بها بمنزلة الأواخر الَّتي تُحرَّك ممَّا لم يُحذف؛ لأنَّ كلامهم أن يشبِّهوا الشَّيء بالشَّيء وإن لم يكن مثله في جميع ما هو فيه "[44].

ومنها أيضاً أنَّه كان يُجيز كسر الفاء من الجمع الَّذي مفرده على صيغة (فَعِيل) ففي قوله تعالى: {إنَّا بُرآءُ مِنكُم} [سورة الممتحنة، الآية: 4] أجاز قراءة مَن قرأ: (بِرَآءُ) بكسر الباء؛ لأنَّه جعله مثل: (كَرِيم وكِرَام)[45].

كما ذكر المبرّد في المقتضب أنَّ الاسم إذا كان مكوَّناً من ثلاثة أحرفٍ أوسطها ساكنٌ، وهو مذكَّرٌ عربيٌّ وقد سمَّيتَ بهذا المذكَّر مؤنَّثاً فإنَّ فيه اختلافاً: فأمَّا الخليل وسيبويه والأخفش والمازنيّ فيرون أنَّ صرفه لا يجوز؛ لأنَّه أُخرج من بابه إلى بابٍ يثقل صرفه، فكان بمنزلة المعدول. وأمَّا عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء ويونس والجرميّ فإنَّهم

Published by Arab Journals Platform, 2019

يُجيزون صرفه، فيقولون: نحن نجيز صرفه على ما ذكرنا، وإنَّما أخرجناه من ثقلٍ إلى ثقلٍ، فالَّذي إحدى حالتيه خفَّةٌ أحقُّ بالصَّرف[46].

3- أبو عمرو بن العلاء:

وهو زبَّان بن العلاء بن عمَّار بن عبدالله المازنيّ المتوفَّى سنة (154هـ)، أحد القرَّاء السَّبعة المشهورين، والعربي الوحيد فيهم، وقد اختُلِفَ في اسمه على واحدٍ وعشرين قولاً[47]. قال المبرّد: " وقيل: لجلالته عندهم كان يُهاب أن يُسأل عن اسمه فلا يُعرف إلَّا بكنيته "[48].

وقد أُخذ عنه النَّحو كما أُخذت عنه الرّواية في القراءات. قال السِّيرافيُّ: " فأمَّا أبو عمرو بن العلاء، فهو من الأعلام في القرآن، وعنه أخذ يونس بن حبيب، والرّواية عنه في القراءة والنَّحو واللُّغة كثيرةٌ "[49].

وقال ابن جنِّي: " أفتراك تريد من أبي عمرو وطبقته وقد نظروا وتدربوا وقاسوا وتصرَّفوا أن يسمعوا أعرابيًّا جافيًا غفلا يعلل هذا الموضع بهذه العلة ويحتج لتأنيث المذكر بما ذكره فلا يهتاجوا هم لمثله, ولا يسلكوا فيه طريقته فيقولوا: فعلوا كذا لكذا، وصنعوا كذا لكذا "[50].

وقال الزَّبيديّ في ترجمته لأبي عمرو: " وكان أوسع النَّاس علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها "[51].

ومن أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عند أبي عمرٍو ما جاء في كتاب سيبويه في باب الظُّروف المبهمة غير المتمكِّنة، إذ يقول سيبويه: " وزعم يونس عن أبي عمرو، وهو قوله أيضاً، وهو القياس أنَّك إذا قلتَ: (لَقِيتُهُ العَامَ الأوَّلَ، أو يَومَاً مِنَ الأَيَامِ) ثمَّ قلتَ: (غَدوَةً، أو بُكرَةً) وأنت تريد المعرفة لم تنوِّن، وكذلك إذا لم تذكر العام الأوَّل، ولم تذكر إلَّا المعرفة، ولم تقل يوماً من الأيام، كأنَّك قلتَ: (هَذَا الحِينُ) في جميع هذه الأشياء، فإذا جعلتَها اسماً لهذا المعنى لم تنوِّن، وكذلك تقول العرب "[52].

ومنها: أنَّ أبا عمرٍو سمع رجلاً يُنشد المرقَّش الأصغر من الطَّويل:

وَمَن يَلقَ خَيرَاً يَحمَدُ النَّاسُ أَمرَهُ وَمَن يَغوَ لَا يَعدَم عَلَى الغَيِّ لَائِمَا[53]

فقال: أقوّمك أم أتركك تتسكَّع في طمَّتك؟ - والطَّمَّة: الضَّلال والحيرة – فقال الرَّجل: بل قوِّمني. فقال أبو عمرٍو: فقل: (يَغوِ) بكسر الواو، ألا ترى إلى قول الله عزَّ وجلَّ: {وعصى آدم ربَّه فغوى} [سورة طه، الآية: 121] "[54].

ومنها أيضاً ما جاء في كتاب الحلقة المفقودة نقلاً عن مقتضب المبرّد في تصغير الاسم المختوم بالألف المقصورة، ونصُّه: " فإذا كانت مع الألف زائدةٌ غيرها حذفتَ أيَّهما شئتَ، وذلك قولك في مثل (حَبَارِي): (حُبَيرِي)، وهو أقيس؛ لأنَّ الألف من (حباري) زائدةٌ لغير معنًى إلَّا للمدِّ، وألف حباري الأخير للتأنيث، فلئن تبقى الَّتي للتأنيث أقيس، ولقد قالوا: (حُبَيرٌ)؛ لأنَّهما زائدتان، وما دون الطَّرف أقوى ممَّا كانت طرفاً. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول في تصغيرها: (حُبَيرَةٌ)، فيحذفها ويبدل منها (هاء) التَّأنيث؛ ليكون له في الاسم علامة تأنيث، ويفعل ذلك بكلِّ ما فيه ألف التَّأنيث الخامسة فصاعداً، ويقول: لم يجز إثباتها؛ لأنَّها ساكنة، فإذا حذفتُها لم أخلِ الاسم من علامة التَّأنيث "[55].

وجاء فيه أيضاً: " وقرأ بعض القرَّاء: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللهُ الصَّمَدُ} [سورة الإخلاص، الآيات: 1 و2]، وأمَّا الوجه فإثبات التَّنوين، فمن ذهب إلى حذف التَّنوين لالتقاء السَّاكنين، قال: (هَذِهِ هِندٌ بِنتُ عَبدِاللهِ) فيمن صرف هنداً؛ لأنَّه لم يلتقِ ساكنان. وكان أبو عمرو بن العلاء يذهب إلى أنَّ الحذف جائزٌ؛ لأنَّهما بمنزلة اسمٍ واحدٍ لالتقاء السَّاكنين "[56].

ويقول شوقي ضيف عن أبي عمرو: " وفي أخباره ما يدلُّ على أنَّه كان يأخذ بالاطِّراد في القواعد، ويتشدَّد في القياس، فقد قال له بعض معاصريه: أخبرني عمَّا وضعتَ ممَّا سمَّيته عربيَّةً، أيدخل فيه كلُّ كلام العرب؟ فقال: لا. فقال: وكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجَّة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمِّي ما خالفني لغاتٌ "[57].

وترى الدُّكتورة خديجة الحديثيّ أنَّ هذه القصَّة تدلُّ على أنَّ أبا عمرو بن العلاء قد شارك في التأليف، وأنَّ له كتاباً أو كتباً في العربيَّة[58]. والأمر كما تقول الدكتورة الحديثيّ إن صحَّت القصَّة. ولعلَّ لأبي عمرٍو تصانيفُ ومؤلَّفاتٍ ضاعت كما ضاع الكثير من تراثنا اللُّغويّ الَّذي لم يصلنا منه إلَّا القليل كما يُقال.

المبحث الثاني

المرحلة الثَّانية من مراحل التَّعليل الصَّرفيّ:

كيف نضج التَّعليل الصَّرفيّ على أيدي الخليل ومعاصريه وتلاميذه؟

1- يونس بن حبيب:

هو أبو عبد الرَّحمن يونس بن حبيب الضَّبِّيُّ المتوفَّى سنة (182هـ) من موالي بني ضبَّة، أدرك عبدالله ابن أبي إسحاق وروى عنه، وقيل أنَّه اختلف إلى حلقات عيسى بن عمر، ولزم أبا عمرو بن العلاء طويلاً. أخذ عنه الكسائي، والفراء، وسيبويه، وغيرهم[59].

وليونس آراءٌ صرفيَّةٌ كثيرةٌ، منها ما تفرَّد به، ومنها ما سبق به غيره، والكثير منها تفرَّد بروايتها عن عبدالله بن أبي إسحاق، وأبي عمرو، وغيرهم. وسوف نسوق بعض الأمثلة عن التَّعليل الصَّرفيّ عند يونس، ولكن قبل ذلك يجب أن نشير إلى أنَّ يونس هو بحقٍّ رائد من روَّاد الدِّراسات الصَّرفيَّة، فقد كانت له آراؤه الَّتي تفرَّد بها، وكان يحتجُّ لهذه الآراء، ويُعلِّلها تعليلاً علميَّاً، ويحتجَّ لها بالسَّماع تارةً، وبالقياس أخرى.

يقول شوقي ضيف: " وبذلك غدا يونس فيما وضعه من أقيسةٍ أمَّةً وحده، وتنبَّه إلى ذلك القدماء فقالوا: كانت ليونس مذاهبُ وأقيسةٌ تفرَّد بها "[60].

ويقول الدُّكتور عبد العال سالم مُكرَّم: " لم تقتصر دراسة يونس على الظَّواهر اللُّغويَّة الَّتي قدمنا صوراً منها، بل أسهم إسهاماً فعَّالاً في ميدانٍ آخرَ من ميدان اللُّغة وهو الصَّرف ... والظَّواهر الصَّرفيَّة الَّتي عالجها يونس كثيرةٌ تطالعك بوجهها في كتاب سيبويه، وفي غيره من كتب النَّحو والصَّرف "[61].

لقد ذكر الدُّكتور عبد العال في الحلقة المفقودة الكثير من الأمثلة في آراء يونس الصَّرفيَّة سنكتفي بثلاثةٍ منها يتجلَّى فيها التَّعليل الصَّرفيّ عند يونس، بعد أن نسوق مثالين من أمثلة التَّعليل الصَّرفي ليونس من كتاب سيبويه.

Published by Arab Journals Platform, 2019

ويونس يُعدُّ مصدراً مهمَّاً من مصادر الكتاب؛ ذلك أنَّ سيبويه قد أخذ عنه الكثير، وقد أحصيت المواضع الَّتي نقل فيها سيبويه عن يونس في المسائل والتَّعليلات الصَّرفيَّة فوجدتها أكثر من خمسين موضعاً، من باب ما لا ينصرف في الجزء الثَّالث، إلى آخر الكتاب، في حين لم يأخذ فيها عن ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو أكثر من أربعة أو خمسة مواضعَ لكلٍّ منهم[62].

ومن أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عند يونس ما ذكره سيبويه في باب تصغير ما كان على ثلاثة أحرفٍ، ولحقته ألف التَّأنيث بعد ألفٍ فصار على خمسة أحرفٍ، إذ يقول سيبويه: " اعلم أنَّ تحقير ذلك كتحقير ما كان على ثلاثة أحرف ولحقته ألف التَّأنيث، لا تكسر الحرف الَّذي بعد ياء التَّصغير، ولا تغيِّر الألفان عن حالهما قبل التَّصغير؛ لأنَّهما بمنزلة الهاء، وذلك قولك: (حُمَيرَاء، وصُفَيرَاء)، وفي طرفاء: (طُرَيفَاء). وكذلك فعلان الَّذي له فَعلَى عندهم؛ لأنَّ هذه النُّون لمَّا كانت بعد ألفٍ، وكانت بدلاً من ألف التَّأنيث حين أرادوا المذكَّر صار بمنزلة الهمزة الَّتي في (حُمَيرَاء)؛ لأنَّها بدلاً من الألف... "[63].

ثمَّ يستطرد سيبويه في هذا الباب على هذا النَّحو يضرب الأمثلة ويُعلِّل لها، حتَّى إذا انتهى إلى آخر الباب قال: " وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب، وما أذكره لك في الباب الَّذي يليه قول يونس "[64].

وهذا النَّصُّ إن دلَّ على شيءٍ إنَّما يدلُّ على كثرة ما نقله سيبويه عن يونس، وغزارة ما أخذه عنه، كما يدلُّ على صحَّة ما قيل من أنَّ يونس كان له مذهبٌ انفرد به في التَّعليل، وهو مذهبٌ أصيلٌ ينمُّ عن براعةٍ في الاستقراء.

وليس ذلك وحسب، بل إنَّك تجد سيبويه أحياناً يقدِّم رأي يونس على آراء غيره من النَّحاة كابن الحضرميّ، وعيسى بن عمر، وأبي العلاء، بل وحتَّى على رأي الخليل بن أحمد، كما في باب حذف أواخر الأسماء[65].

وجاء في الكتاب: " وأمَّا عيسى فكان يقول: (أُحَيٌّ) ويصرف، وهو خطأٌ، ولو جاز ذا لصرفتَ (أَصَمَّ)؛ لأنَّه أخفُّ من أحمر، وصرفت (أرأَسَ) إذا سمَّيتَ به ولم تهمز، فقلتَ: (أرَسَ). وأمَّا أبو عمرو فكان يقول: (أُحَيِّ)، ولو جاز ذلك لقلتَ في عطاءَ: (عُطَيِّ)؛ لأنَّها ياءٌ كهذه الياء، وهي بعدُ ياءٌ مكسورةٌ، ولقلتَ في سقاية: (سُقَيَّيَة) وفي شاوٍ: (شُوَيِّ). وأمَّا يونس فقوله: (هَذَا أُحَيُّ) كما ترى، وهو القياس والصَّواب "[66].

ومن أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عنده أيضاً ما رواه عنه سيبويه إذ يقول: " وحدَّثنا يونس وغيره أنَّ ناساً من العرب يقولون في (وَجِلَ يَوجَل) ونحوه: (مُوجَلٌ، ومُوحَلٌ)، وكأنَّهم الّضذين قالوا: (يَوجَلُ) فسلَّموه، فلمَّا سلم وكان يفعل كيركب ونحوه شبَّهوه به. وقالوا: (مَوَدَّةٌ)؛ لأنَّ الواو تُسلَّم ولا تُقلب "[67].

وأمَّا ما أشرنا إليه آنفاً ممَّا أورده صاحب الحلقة المفقودة من أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عند يونس، فقد ذكرنا أنَّنا سنكتفي بثلاثة أمثلةٍ منه، وهي:

الأوَّل: نقله الدُّكتور عبد العال عن شرح شافية ابن الحاجب للرَّضي، وهو قوله: " قال يونس: إنَّ من العرب من يقول في تصغير سراويل: (سُرَيِيلاتٌ) اعتقاداً منه أنَّها سراولة؛ لأنَّ هذه صيغةٌ تختصُّ بالجمع، فجعل كلَّ قطعةٍ منها سِرَاوِلَةً "[68].

والثَّاني: نقله عن المنصف في شرح تصريف المازني، وهو قول أبي عثمان: " وكان يونس يقول في تصغير حطائط: (حُطَيِّطٌ)، فيحذف الهمزة ويثبت الألف "[69]. وعلَّق عليه الدُّكتور عبد العال بقوله: " وإنَّما ذهب يونس إلى حذف همزة حطائط في التَّحقير؛ لأنَّها أقرب إلى الطَّرف، فضعفت عنده فحذفها، والألف وإن كانت ساكنة، فقد قويت عنده بالتَّقدُّم "[70].

والثَّالث: قوله: " حُكي عن يونس بن حبيب النَّحويّ: (استَخَرْتُ: استَفْعَلتُ) من الخير، أي : سألته أن يوفِّق لي خير الأشياء الَّتي أقصدها. قال: وكان الأصل (استَخْيَرتُ الله)، فأُسقطت الياء، وأُلقيت حركتها على الخاء؛ لأنَّ الياء ساكنةٌ، وبعدها الرَّاء ساكنةً، فأُسقطت لاجتماع السَّاكنين "[71].

ففي المثال الأوَّل نبَّه يونس على أمرٍ دقيقٍ في الفرق بين صيغة (سراويل) وصيغة (سِراولة)، وهو أنَّ الثَّانية تختصُّ بالجمع بخلاف الأولى، وأنَّ الكثير من فصحاء العرب يقع في الخلط بينهما فضلاً عن عامَّتهم. وفي المثال الثَّاني ساهم يونس في وضع قاعدة صرفيَّة مهمَّة، وبيان علَّةً من علل التَّصريف الَّتي تُبنى عليها الكثير من الأحكام، وهي علَّة القرب والبعد من الطَّرف. وأمَّا في المثال الثَّالث فإنِّي لا أرى تعليله لحذف الياء من (استَخيَرتُ) دقيقاً فكيف تلقى حركة الياء على الخاء وتُحذف لالتقاء السَّاكنين وهي في الأصل متحرِّكة. وكان الأولى أن يقول: أنَّهم نقلوا حركتها ليتسنَّى لهم حذفها لالتقاء السَّاكنين؛ لأنَّها ثقلت عليهم فأرادوا حذفها، فألقوا حركتها على الحرف الصَّحيح قبلها ثمَّ حذفوها.

2- الخليل بن أحمد الفراهيديّ:

عند الخليل، وما قام به من عمل جليل، وصل النَّحو إلى مرحلة التَّأصيل، ونضج على يديه القياس والتَّعليل، وبرع في ميدان التَّقدير والتَّأويل. فهو بحقٍّ إمام النَّحاة، وسيِّد الأدباء، وحبر اللُّغويين، وبحر النُّجباء، من أهل التَّصريف والاشتقاق والعروض، وغيرها من علوم العربيَّة.

وُلد الخليل بن أحمد الفراهيدي سنة (100هـ)، وتوفِّي سنة (170هـ)، أو (174هـ)، أو (175هـ)، على اختلاف الرِّوايات[72]. ولا تهمُّنا وفاة الخليل بقدر ما يهمُّنا الخليل نفسه، وتعنينا أعماله، ومنزلته بين العلماء، فمن هو الخليل؟ وماذا قال فيه العلماء؟ وما الَّذي رفع من قدره؟

فعن الخليل قال التَّابعيُّ الجليل سفيان الثَّوريّ: " من أحبَّ أن ينظر إلى رجلٍ خُلق من الذَّهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد "[73].

وقال النَّضر بن شميل: " أُكلت الدُّنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه، وهو جالسٌ في خصٍّ بالبصرة لا يُشعَرُ به "[74].

وعن محمَّد بن الحسن الزَّبيديّ المتوفَّى سنة (379هـ) نقل الدُّكتور كامل سلمان الجبوريّ قوله: " والخليل بن أحمد أوحد العصر، وقريع الدَّهر، وجهبذ الأمَّة، وأستاذ أهل الفطنة، الَّذي لم يُرَ نظيره، ولا عُرف في الدُّنيا عديله، فهو الَّذي بسط النَّحو، وسبَّب علله، وفلق معانيه، وأوضح الحجاج فيه، حتَّى بلغ أقصى حدوده... "[75].

Published by Arab Journals Platform, 2019

وترجم للخليل خلقٌ كثيرٌ، منهم ياقوت الحمويّ المتوفَّى سنة (626هـ)، الَّذي يقول: " الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ، ويُقال: الفرهوديّ نسبةً إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبدالله بن مضر الأزديّ، البصريُّ النَّحويُّ اللُّغويُّ، سيِّد الأدباء في علمه وزهده. وقيل إنَّ أوَّل من سُمِّي في الإسلام أحمد هو أبو الخليل، ويُكنَّى: أبا عبد الرَّحمن، وهو من أعمال عُمان من قريةٍ من قراها "[76].

ولقد أدَّت بحوث الخليل الواسعة في اللُّغة، ونظره الدَّقيق، وعقله الرَّجح إلى أن يخطو بما وصل إليه من النَّحو خطواتٍ عظيمةٍ في سبيل التَّطوُّر والنُّضوج، وتُعدُّ حقبة الخليل وتلميذه سيبويه حقبةٌ فارقةٌ في تاريخ الدِّراسات النَّحويَّة والصَّرفيَّة.

لقد استطاع الخليل بنباهته الفائقة، وملاحظته الدَّقيقة أن يميز بين الأصليِّ والزَّائد من الحروف، فجمع الزَّوائد منها في كلمة (سألتمونيها)، وأن يُقسِّم الأبنية إلى مجرَّدةٍ ومزيدةٍ، وبيَّن أنَّ المجرَّدة لا تزيد على خمسة أصول ولا تقلُّ عن ثلاثةٍ. كما وضع الميزان الصَّرفيّ، ورأى أن يُنطق بالزَّوائد في الميزان الصَّرفيّ بلفظها، ليمتاز الأصليُّ عن الزَّائد. كما يرجع الفضل إليه في وضع قوانين الإعلال والإبدال[77].

ـ أمثلة التَّعليل الصَّرفي عند الخليل:

وأمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عند الخليل كثيرةٌ جدَّاً، فلا يكاد يخلو كتابٌ من كتب النَّحو والتَّصريف –وفي مقدِّمتها كتاب العين وكتاب سيبويه – من آرائه وتعليلاته الصَّرفيَّة ، نذكر منها.

قوله في كتاب العين: " والدهدهة: قذفك الحجارة من أعلى إلى أسفل دحرجة. قال عمرو ابن كلثوم يصف السيوف:

يُدَهدِهنَ الرُّؤُوسَ كَمَا تُدَهدِي حَزَاوِرَةٌ بِأَيدِيهَا الكُرِينَا[78]

حوَّل الهاء الآخرة ياء، لأنَّ الياء أقرب الحروف شبها بالهاء، ألا ترى أنَّ الياء مدَّة والهاء نفس، ومن هنالك صار مجرى الياء والواو والألف والهاء في روي الشِّعر واحدا نحو قوله:

لِمَن طَلَلٌ كَالوَحيِ عَافٍ مَنَازِلُه[79].

فاللَّام هو الرُّوي، والهاء وصل للرُّوي، كما أنَّها لو لم تكن لمُدَّت اللَّام حتَّى تخرج من مدَّتها واوٌ أو ياءٌ، أو ألفٌ للوصل نحو: (مُنَازِلُو ، مُنَازِلِي، مُنَازِلَا) "[80].

ففي بيت عمرو بن كلثوم علَّل الخليل قلب الهاء من (تدهده) ياءً بالشَّبه الَّذي بين أحرف المدِّ والهاء في أنها أحرفٌ يجري معها النَّفس فتقاربت في روي الشَّعر، فجاز إبدال الهاء من أحرف المدِّ إذا اظطرَّ الشَّاعر. وأمَّا في بيت زهير بن أبي سُلمى فقع زيدت الهاء لاجتناب قلب اللَّام واواً أو ياءً كما في تعليل الخليل.

ومنها قوله: " (سنه): السَّنة: نقصانها حذف الهاء وتصغيرها: سنيهة. والمسانهة: المعاملة سنةً بسنةٍ. وثلاث سنوات، وقال الله عزَّ وجلَّ: {لم يتسنه} [سورة البقرة، الآية: 259] ومن جعل حذف السَّنة واواً قرأ: (لم يتسن)، ومنه: سانيته مساناةً، وإثبات الهاء أصوب "[81].

فسنة تصغيرها (سنيهة) بالهاء، والفعل والمصدر منها (سانه يسانه مسانهة) بالهاء أيضاً، وجمعها (سنوات)، فلذلك صارت الهاء أصوب فيها من الواو؛ للغالب في اشتقاقاتها، ولأنَّها وردت في القرآن الكريم بالهاء.

وممَّا نقل سيبويه في كتابه من أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ لدى الخليل: أنَّه كان يرى أنَّ تصغير الاسم المركَّب يكون في الصَّدر دون العجز؛ لأنَّ الصَّدر عند العرب بمنزلة المضاف، والعجز بمنزلة المضاف إليه، وذلك نحو قولهم في حضرموت: (حُضَيرَمَوت)، وفي بعلبك: (بُعَيلَبَك)، كأنَّهم صغَّروا عبد عمرو، وطلحة زيدٍ[82].

ومنها ما جاء في باب الوقف (عند النُّون الخفيفة) من الكتاب، إذ يقول سيبويه: " اعلم أنَّه إذا كان الحرف الَّذي قبلها مفتوحاً، ثمَّ وقفتَ جعلتَ مكانها ألفاً، كما فعلتَ ذلك في الأسماء المنصرفة حيث وقفتَ؛ وذلك لأنَّ النُّون الخفيفة والتَّنوين من موضعٍ واحدٍ، وهما حرفان زائدان، والنُّون الخفيفة ساكنة كما أنَّ التَّنوين ساكنٌ، وهي علامة تَوكيدٍ كما أنَّ التَّنوين علامة المتمكِّن، فلمَّا كانت كذلك أُجريت مجراها في الوقف، وذلك قولك: (اضرِبَا) إذا أمرت الواحد، وأردت الخفيفة. وهذا تفسير الخليل "[83].

ومنها أنَّه كان يرى في صيغة اسم المفعول من الأجوف، مثل (مَقُول، ومَبِيع) أنَّ الواو الزَّائدة، وهي واو (مفعول) هي المحذوفة من الصِّيغة؛ لأنَّ الزَّائد أولى بالإعلال من الأصليّ، فتكون مقول عنده على وزن: (مَفعُل)، ومبيع على وزن: (مَفعِل). بينما يذهب غيره من النُّحاة إلى أنَّ عين الفعل هي المحذوفة، وبذلك يكون الوزن عندهم: (مَفُول)[84].

ومها أيضاً أنَّ كلمة (أشياء) جاءت ممنوعةً من الصَّرف عنِ العرب مع أنَّها جمع (شيء)، وصيغة جمعها على ذلك (أفعال)، وهي صيغة لا تُمنع عندهم من الصَّرف؛ ومن أجل ذلك ذهب الخليل إلى أنَّ فيها قلباً، وأنَّها على وزن: (لَفعَاءَ) وعلَّل ذلك بأنَّ الكلمة تُجمع في الأصل على (أشاوي) كما تجمع صحراء على صحاري، وأصلها عنده (أشايا) فأُبدلت الياء واواً، وأشياء جمع أشاوي[85].

ومنها أنَّ أصل (لَنْ) النَّاصبة عند الخليل: (لَا، وأنْ)، فحُذفت الهمزة تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال، ثمَّ حُذفت الألف لالتقاء السَّاكنين[86].

3- سيبويه:

هو عمرو بن عثمان بن قنبر الشِّيرازيُّ، وكنيته: أبو بشر، وأبو الحسين، ويُقال: أبو عثمان، وأثبتها أبو بشر. وهو فارسيُّ الأصل من موالي بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَّة بن جلد بن مالك بن أدد. وسيبويه بالفارسيَّة: رائحة التُّفَّاح[87].

وأمَّا وفاته فقد اختلفوا فيها على أقوالٍ أرجحها أنَّه توفِّي سنة ثمانين ومائة للهجرة، فقد قال السِّيرافيُّ: " ومات سيبويه قبل جماعةٍ قد كان أخذ منهم كيونس وغيره "[88]. ثمَّ قال: " ومات سيبويه بفارس في أيَّام الرَّشيد "[89].

وقال ياقوت الحمويّ: " مات فيما ذكره ابن قانع بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وقال المرزبانيّ: مات بشيراز سنة ثمانين ومائة "[90].

وقال الفيروزآباديّ: " توفِّي بشيراز سنة ثمانين ومائة في أيَّام الرَّشيد على أنَّ في موته اختلافاً كثيراً "[91].

Published by Arab Journals Platform, 2019

وأمَّا عن علمه وأدبه فقد " قيل ليونس بن حبيب لمَّا مات سيبويه: إنَّ سيبويه قد ألَّف كتاباً في ألف ورقةٍ من علم الخليل، فقال: ومتى سمع سيبويه هذا كلَّه من الخليل، جيئوني بكتابه، فلمَّا نظر فيه، ورأى كلَّ ما حُكِي قال: يجب أن يكون هذا الرَّجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عنِّي "[92].

وقال عنه أبو الطَّيِّب اللُّغوي: " وهو أعلم النَّاس بالنَّحو بعد الخليل، وألَّف كتابه الَّذي سمَّاه النَّاس قرآن النَّحو، وعقد أبوابه بلفظ الخليل "[93].

ونقل السُّيوطيّ عن الأزهريّ قوله: " كان سيبويه علَّامةٌ حسن التَّصنيف، جالس الخليل وأخذ عنه، وما علمتُ أحداً سمع منه كتابه هذا؛ لأنَّه احتضر، وقد نظرتُ في كتابه فرأيتُ فيه علماً جمَّاً "[94].

وكان سيبويه أوَّلاً يصحب الفقهاء والمحدِّثين فيما يبدو، فقد كان يستملي على حمَّاد بن سلمة[95]، فاستملى يوماً قوله (صلى الله عليه وسلَّم): " ليس من أصحابي إلَّا من لو شئتُ لأخذت عليه ليس أبا الدَّرداء " ، فقال سيبويه: أبو الدَّرداء، وظنَّه اسم ليس، فلحنه حمَّاد، فأنف من ذلك ولازم الخليل[96].

ـ أمثلة التَّعليل الصَّرفيّ عند سيبويه:

من أمثلة التَّعليل الصَّرفيِّ عند سيبويه قوله: " وإذا حقَّرتَ استبرق قلتَ: (أُبَيرِق)، وإذا شئتَ قلت: (أُبَيرِيق) على العوض؛ لأنَّ الألف إذا جعلتَها زائدةً لم تُدخلها على بنات الأربعة ولا الخمسة، وإنَّما تُدخلها على بنات الثَّلاثة، وليس بعد الألف شيءٌ من حروف الزِّيادة إلَّا السِّين والتَّاء، فصارت بمنزلة (ميم) مُستَفعِلٍ، وصارت السِّين والتَّاء بمنزلة (سين) مُستَفعِلٍ و(تائهِ). وترك صرف استبرقَ يدلُّك على أنَّه استَفعَلَ "[97].

ومنها قوله في باب (تحقير الأسماء المبهمة): " اعلم أنَّ التَّحقير يضمُّ أوائل الأسماء إلَّا هذه الأسماء، فإنَّه يُترك أوائلها على حالها قبل أن تُحقَّر؛ وذلك لأنَّ لها نحواً في الكلام ليس لغيرها، فأرادوا أن يكون تحقيرها على غير تحقير ما سواها، وذلك قولك في هذا: هُذَيَّاك، وذاك: ذَيَّاك، وفي أُلا: أُلَيَّا. وإنَّما ألحقوا هذه الألفات في أواخرها لتكون أواخرها على غير حال أواخر غيرها، كما صارت أوائلها على ذلك "[98].

ومنها أيضاً قوله في باب (المقصور والممدود): " وإذا كانت الهمزة المتحرِّكة بعد ألفٍ لم تُحذف؛ لأنَّك لو حذفتَها ثمَّ فعلتَ بالألف ما فعلتَ بالسَّواكن الَّتي ذكرتُ لك لتحوَّلت حرفاً غيرها، فكرهوا أن يُبدلوا مكان الألف حرفاً ويغيِّروها؛ لأنَّه ليس في كلامهم أن يُغيِّروا السَّواكن فيبدلوا مكانها إذا كان بعدها همزةٌ فخفَّفوا، ولو فعلوا لخرج كلامٌ كثيرٌ من حدِّ كلامهم؛ لأنَّه ليس من كلامهم أن تثبت الياء والواو ثانيةً فصاعداً وقبلها فتحةٌ، إلَّا أن تكون الياء أصلها السُّكون "[99].

ومنها أيضاً قوله في باب (مصادر ما لحقته الزَّوائد من الفعل من بنات الثَّلاثة): " وأمَّا (فَعَّلتُ) فالمصدر منه على التَّفعيل، وجعلو الياء بمنزلة ألف الإفعال، فغيَّروا أوَّله كما غيَّروا آخره، وذلك قولك: (كَسَّرتُه تَكسِيرَاً، وعَذَّبتُه تَعذِيبَاً). وقد قال ناسٌ: (كَلَّمتُه كِلَّامَاً، وحَمَّلتُه حِمَّالَاً)؛ أرادوا أن يجيئوا به على الإفعال، فكسروا أوَّله وألحقوا الألف قبل آخرَ حرفٍ فيه، ولم يُريدوا أن يُبدلوا حرفاً مكان حرفٍ، ولم يحذفوا، كما أنَّ مصدر أَفعَلتُ

واستَفعَلتُ جاء فيه جميع ما جاء في استَفعَلَ وأَفعَلَ من الحروف، ولم يُحذف، ولم يُبدل منه شيءٌ. وقد قال عزَّ زجلَّ: {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابَا} [سورة النَّبأ، الآية: 28] "[100].

ومنها أيضاً قوله: " وأمَّا (أَحمَرُ) ونحوه، إذا قلتَ: (رَأَيتُ أَحمَرَ) لم تُلحق الهاء؛ لأنَّ هذا الآخر حرف إعرابٍ يدخله الرَّفع والنَّصب، وهو اسمٌ يدخله الألف واللَّام، فيجرُّ آخره، ففرَّقوا بينه وبين ما ليس كذلك، وكرهوا الهاء في هذا الاسم في كلِّ موضعٍ، وأدخلوها في الَّتي لا تزول حركتها... عوضاً من الهاء حيث قويت هذه القوَّة "[101].

وعلى الرَّغم من كثرة التَّعليل النَّحويّ والصَّرفيّ في كتاب سيبويه فإنَّه كان يُعدُّ في نظر الكثير من الباحثين امتداداً للمرحلة الأولى من مراحل نشأة التَّعليل في الدِّراسات اللُّغوية في لغة العرب بنحوها وصرفها، فالدُّكتور مازن المبارك يرى أنَّ تعليل سيبويه " لم يكن أكثر من إلحاق الحكم النَّحويّ بعلَّة يُلقيها صاحبها بأسلوب الأستاذ المقرِّر، أو العالم الواثق، فلا يتخيَّل ردَّاً عليه"[102].

من هنا كان الفرق بين سيبويه ومن سبقه، وبين من جاء بعده من النُّحاة بأنَّ سيبويه وسابقيه كانت عنايتهم موجَّهةً إلى النَّحو نفسه، وليس للعلَّة من حيث هي، وأمَّا من جاء بعده فكانت عنايتهم موجَّهةً إلى العلَّة والتَّعليل بها أكثر ممَّا كانت موجَّهةً إلى علم النَّحو أو الصَّرف. لذلك كان سيبويه يُمثِّل في نظر بعض الدَّارسين خاتمة مرحلةٍ من تاريخ النَّحو[103].

إذاً وبناءً على كلِّ ما تقدَّم نستطيع أن نجزم بأصالة التَّعليل الصَّرفيّ في الدِّراسات اللُّغوية المبكِّرة، فقد نشأ مبكِّراً جدَّاً مع نشأة النَّحو العربيّ، واكتسب أصالته من أصالته من دون تأثُّرٍ بالمؤثِّرات الخارجيَّة، والثَّقافات الوافدة، كمنطق أرسطو، أو الفلسفة الإغريقيَّة، أو النَّحو السِّريانيّ. فالعلماء العرب من نحاة ولغويين اعتمدوا في وضع القواعد والأحكام معتمدين على استقراء وجمع اللُّغة من أفواه الفصحاء من الأعراب، متسلِّحين بما أُوتوا من فطنةٍ وعقولٍ صقلها انكبابهم على دراسة كتاب الله تعالى، وسنَّة نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلَّم)، واشتغالهم بالفصيح البليغ من كلام العرب وبالأخص الشِّعر في مرحلة ما قبل الإسلام. فشيَّدوا هذا الصَّرح الَّذي لم تؤتَ أمَّةٌ من الأمم نظيره.

فلمَّا لم يكن للأمم الأخرى أن يعملوا نظاماً لغويَّاً متكاملاً كما فعل العرب ما كان منهم إلَّا أن رفعوا لواء التَّشكيك بأصالة هذا الصَّرح الشَّامخ، فجيَّشوا ما استطاعوا من مستشرقي الغرب، ومستغربي الشَّرق، ولكن هيهات فقد تعهد الله تعالى بحفظ اللغة العربية إذ قال عزَّ وجلَّ: {إنَّا نحن نزَّلنا الذِّكر وإنَّا له لحافظون} [سورة الحجر، الآية: 9]. وحفظ اللُّغة العربيَّة من حفظ القرآن الكريم؛ لأنَّه بها نزل، وبها يُتعبَّد لله تعالى بتلاوته إلى قيام السَّاعة.

Published by Arab Journals Platform, 2019

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وسيِّد الخلق أجمعين، محمَّدٍ الصَّادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وبعد:

فهذا بحثٌ بعنوان (نشأة التَّعليل الصَّرفيّ)، بحثتُ فيه بدايات التَّعليل الصَّرفيّ في الدِّراسات اللُّغويَّة، ونشأته عند الأوائل من العلماء النَّحو والصَّرف، وأثبَّتُ فيه أنَّ التَّعليل في اللُّغة العربيَّة بشقَّيه النَّحويّ والصَّرفيّ أصيلٌ يستمدُّ أصالته من أصالة اللُّغة العربيَّة، ويكتسب عراقته من عراقة البحوث والدِّراسات اللُّغويَّة.

فأبو الأسود قد وضع في القرن الأوَّل الهجريّ تعليقته المشهورة الَّتي كانت تمثِّل الخطوة الأولى في مسيرة هذا الصَّرح الشَّامخ ألا وهو النَّحو العربيّ بمعناه الجامع الَّذي يشتمل على مختلف علوم اللُّغة العربيَّة بنحوها وصرفها ولغتها وبلاغتها وأصواتها، وغير ذلك من علومها المختلفة.

ثمَّ ما لبث أن نبغ في هذه العلوم تلاميذٌ بارعون لأبي الأسود حملوا لواء اللَّغة من بعده، ومنهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ المتوفَّى سنة (117هـ)، والَّذي كان أوَّل من بعَّج النَّحو، ومدَّ القياس، وشرح العلل من غير أدنى تأثُّرٍ بفلسفةٍ أو منطقٍ أو كلامٍ أو جدلٍ غير ذلك من العلوم الوافدة، الدَّخيلة على النَّحو العربيّ، والَّتي ظهرت فيما بعد.

ولعلَّ ذلك يمثِّل في خاتمة هذا البحث أوَّل نتيجةٍ من نتائجه، وهي أصالة التَّعليل الصَّرفيّ، وعراقة العلل الصَّرفيَّة، الَّتي شاعت في كتب التَّصريف في القرون الأولى.

وبالتَّالي فإنَّ أهمَّ الاستنتاجات المستفادة من هذا البحث المتواضع تتمثَّل في:

1- التَّعليل الصَّرفيّ أصيلٌ بأصالة علم الصَّرف الَّذي نشأ مبكِّراً مع نشأة النَّحو على يد أبي الأسود الدُّؤليّ، ثمَّ على أيدي تلاميذه من بعده.
2- تنوَّعَ التَّعليل بمختلف النُّصوص والأدلَّة النَّقليَّة كالقرآن الكريم، والحديث النَّبوي الشَّريف، وكلام الفصحاء من العرب بنوعيه: النَّثر والشِّعر.
3- مرَّ التَّعليل الصَّرفيّ عند القدماء من علماء اللُّغة بثلاث مراحل:
   أ- المرحلة الأولى: مرحلة وضع الأسس الأولى لعلوم النَّحو والصَّرف واللُّغة، وهذه المرحلة المبكِّرة تكاد تكون خاليةً من التَّعليل، فهي مرحلة وضع بعض المفاهيم الَّتي تهدف إلى تصحيح بعض الأخطاء واللُّحون الَّتي قد صدرت من عامَّة النَّاس.
   ب- المرحلة الثَّانية: وتُعدُّ هذه المرحلة بداية التَّعليل بنوعيه النَّحويّ والصَّرفيّ، وتبدأ بابن ابي إسحاق الحضرميّ، وأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وأقرانهم، وقد تقدَّم أنَّ القياس والتَّعليل كانت نشأتهما الفعليَّة على يد ابن الحضرميّ.
   ت- المرحلة الثَّالثة: وهي مرحلة نضوج هذا التَّعليل، واكتمال الاستقراء والتَّأصيل، ووضوح الاستشهاد والتَّمثيل على يد الخليل بن أحمد الفراهيديّ وأقرانه وتلاميذه، وأشهرهم سيبويه والأخفش الأوسط.

4- للتَّعليل في كتاب سيبويه أثره البالغ ومساحته الواسعة، فلا يكاد يخلو بابٌ واحدٌ، بل لا تكاد تخلو مسألةٌ من المسائل النَّحويَّة والصَّرفيَّة من التَّعليل، وشرح العلَّة، وبيان موضعها، والحكمة منها.

بذلك يكون التَّعليل الصَّرفيّ أحد أهم جوانب البحث في الدِّراسات اللُّغوية، الَّتي لا يمكن بشكل من الأشكال الاستغناء عنها أو إغفالها. فالنَّحو قائمٌ على الاستقراء والجمع والاستشهاد والتَّعليل، وكذلك الصَّرف والصَّوت واللُّغة والبلاغة، وجميع علوم اللُّغة العربيَّة.

Published by Arab Journals Platform, 2019

هوامش البحث ومصادره

(1) ينظر: مقدمة شرح تصريف العزي للشريف الجرجاني، 3.
(2) طبقات النحويين ، 32.
(3) ينظر: المنصف،شرح ابن جنِّي لكتاب تصريف 284/3.
(4) هو معاذ بن مسلم الهرَّاء الكوفي ، من أعيان النُّحاة ، مولى محمَّد بن أحمد القُرضيّ ، أخذ عنه الكسائيّ وغيره ، روى الحديث عن محمَّد بن جعفر الصَّادق ، وكان يبيع الثِّياب الهروية ؛ فلذلك قيل له الهرَّاء ، مات أولاده وأولاد أولاده أجمعون ، وعاش بعدهم حتَّى بلغ المائة وخمسين سنة . انظر ترجمته في : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، 288/3 ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، 293 ، وبغية الوعاة ، 290/2 ، وغيرها .
(5) هو قاضي القضاة ، شمس الدِّين ،أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشَّافعي المتوفَّى سنة (681هـ) ، يكنَّى بأبي العبَّاس ، مؤرِّخٌ وقاضٍ وأديبٌ ، ويُعدُّ من أعلام مدينة دمشق ، وهو صاحب كتاب وفيات الأعيان . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، 32/8 ، وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، 375/1 ، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، 2،89
(6) المنصف ، 284/3.
(7) هو أبو مسلم عبد الرَّحمن الخراساني صاحب الدَّعوة العبَّاسيَّة ، وكان قبل هذه الدَّعوة أديباً . تنظر ترجمته في : وفيات الأعيان ،145/3 ، وسير أعلام النبلاء ، 219/6 ، والوافي بالوفيات ، 161/18 ، والأعلام للزركلي ، 337/3.
(8) تنظر هذه القصة في : بغية الوعاة ، 393/7 ، وإنباه الرواة ، 288/3 ، وطبقات النحويين واللغويين ، 136
(9) طبقات النحويين واللغويين ، 137 .
(10) بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة ، 291/2 .
(11) ينظر: الصاحبي ، 8-11 .
(12) ينظر: بغية الوعاة ، 293/2.
(13) ينظر: شذا العرف في فن الصرف، 33، وأبنية الفعل، 91.
(14) ينظر: المزهر، للسيوطي، 343/2، وشذا العرف،31.
(15) تنظر ترجته في: نزهة الألباء، 23، ومعجم الأدباء، 2749/6، والوافي بالوفيات، 44/27، وبغية الوعاة، 313/2.
(16) ينظر: وفيات الأعيان ، 344/1 ، والحلقة المفقودة ، 88-89 ، والمدارس النحوية ، شوقي ضيف ، 17 .
(17) ينظر: الأغاني، 229/12، والحلقة المفقودة، 103، والمدارس النحوية، خديجة الحديثي، 87.
(18) طبقات فحول الشعراء، 14، وينظر: طبقات النحويين، 32.
(19) مراتب النحويين، 12.
(20) المصدر نفسه، 12.
(21) طبقات النحويين، 21.
(22) الحلقة المفقودة، 115.
(23) الحلقة المفقودة، 104.
(24) ينظر: المصدر نفسه، 104.
(25) ينظر: المصدر نفسه، 104.
(26) النحو العربي، 19.
(27) الحلقة المفقودة، 105.
(28) ينظر: المصدر نفسه، 105- 107.
(29) الحلقة المفقودة، 105، والحديث في مسند الإمام أحمد، 498/3.

(30) المصدر نفسه، 106-107، والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، 804/2.
(31) الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين والانتصاف من الإنصاف، 291-292.
(32) المدارس النحوية ، خديجة الحديثي، 111.
(33) الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، 62.
(34) ينظر: المصدر نفسه، 62.
(35) ينظر: المصدر نفسه، 63 وما بعدها.
(36) ينظر: الحلقة المفقودة، 113، والمدارس النَّحوية ، خديجة الحديثي، 79.
(37) البيت للفرزدق في ديوانه، ... وينظر: شرح أبيات سيبويه، 271/2، وشرح الأشموني لألفية ابت مالك، 171/3.
(38) تنظر هذه القصة في: طبقات فحول الشعراء، 16-17، وطبقات النحويين، 11، ونزهة الألباء، 18.
(39) المدارس النحوية، خديجة الحديثي، 79.
(40) الكتاب، 242/3.
(41) أخبار النحويين البصريين، 26، وطبقات النحويين، 40، ونزهة الألباء، 12، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة، 136.
(42) المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، 25 .
(43) الكتاب ، 545/3 .
(44) المصدر نفسه ، 159/4 .
(45) الحلقة المفقودة ، 176 ، وينظر: مشكل إعراب القرآن ، 371 .
(46) ينظر: المقتضب ، 350/3-351 .
(47) تنظر ترجمته في: طبقات النحويين، 35، ونزهة الألباء، 30، ومعجم الأدباء، 469/5، وإنباه الرواة، 131/3، ووفيات الأعيان، 466/3، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة، 79.
(48) معجم الأدباء، 470/5.
(49) أخبار النحويين البصريين، 23.
(50) الخصائص، 250/1.
(51) طبقات النحويين، 37.
(52) الكتاب، 293/3.
(53) البيت للمرقش الأصغر في: الشعر والشعراء، 210، والعقد الفريد، 187/6.
(54) ينظر: شذا العرف في فن الصَّرف، 28.
(55) المقتضب، 261/2، وينظر: الحلقة المفقودة، 233.
(56) المقتضب، 313/2-314، وينظر: الحلقة المفقودة، 233.
(57) المدارس النحوية، شوقي ضيف، 27.
(58) ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، 88.
(59) تنظر ترجمته في: طبقات النحويين، 51، ونزهة الألباء، 47، وإنباه الرواة، 74/4، ووفيات الأعيان، 244/7، ومعجم الأدباء، 2851/6، وبغية الوعاة، 365/2، والأعلام للزركلي، 261/8.
(60) المدارس النحوية، شوقي ضيف، 28.
(61) الحلقة المفقودة، 318.
(62) ينظر: الكتاب، 206/3، 242، 281، 291، 293، 312، 342، 343، 347، 348، 352، 355، 356، 361، 419، 422، 423، 425، 426، 432، 439، 442، 450، 456، 457، 461، 472، 474،= 493، 503، 508، 514، 522، 523، 533، 565، 584، 591، 597، 599، 600، 602، 622، 625، و 37/4، 93، 107، 149، 184، 397، 405، 443.
(63) الكتاب 419/3-420 .

Published by Arab Journals Platform, 2019

(64) المصدر نفسه، 423/3.
(65) ينظر: المصدر نفسه، 184/4.
(66) الكتاب، 472/3.
(67) المصدر نفسه، 93/4.
(68) شرح الشافية للرضي، 264/1، وينظر: الحلقة المفقودة، 320.
(69) المنصف، 83/2-84.
(70) الحلقة المفقودة، 326 .
(71) المصدر نفسه، 327 .
(72) ينظر: أخبار النَّحويين البصريين، 30، ومعجم الأدباء، 465/3، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة، 76،وسير أعلام النبلاء، 430/7، والمدارس النَّحويَّة، خديجة الحديثي، 95.
(73) معجم الأدباء، 466/3.
(74) المصدر نفسه، 466/3.
(75) معجم الأدباء من العصر الجاهلي سنة 2002م، 323/2.
(76) معجم الأدباء، لياقوت، 365/3.
(77) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، 72/1.
(78) البيت لعمرو بن كلثوم في شرح الزوزني، 13، وروايته:

يدهدون الرُّؤوس كما تدهدى.... حزاورة بأبطحها الكرينا.

(79) وردالبيت في لسان العرب ثلاث مرَّاتٍ الأولى في: 98/6 بلا نسبة، وروايته: لمن طلل كالوحي عفٌّ منازله.... عفا الرَّس منها فالرَّسيس فعاقله. والثَّانية في: 465/11، وروايته: لمن طللٌ كالوحي عافٍ منازله.... عفا الرَّس منه فالرَّسيس فعاقله. ونسبه لزهير. والثَّالثة في: 489/13، مادة (دهده) وأورد الشَّطر الأوَّل منه فقط، وبرواية الخليل في العين بلا نسبة.
(80) العين، 348/3.
(81) المصدر نفسه، 8/4.
(82) ينظر: الكتاب، 475/3.
(83) الكتاب، 251/3.
(84) ينظر: الخصائص، 66/2.
(85) ينظر: الكتاب، 469/3، والمنصف، 94/2.
(86) ينظر: سر صناعة الإعراب، 314/1، والخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، 201-203.
(87) تنظر ترجمته في: مراتب النحويين، 65، وأخبارالنحويين البصريين، 37، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة، 133، ومعجم الأدباء، 873/5، وتاريخ العلماء النحويين للتنوخي، 90/1، ونزهة الألباء، 54/1.
(88) أخبار النحويين البصريين، 38.
(89) المصدر نفسه، 40.
(90) معجم الأدباء، 873/5.
(91) البلغة في تاريخ أئمة اللغة، 134.
(92) معجم الأدباء، 873/5.
(93) مراتب النَّحويين، 65.
(94) بغية الوعاة، 229/2.
(95) هو حمَّاد بن سلمة بن دينار، مولى ربيعة بن مالك، أحد رواة الحديث المشهورين، روى الحديث عن قتادة وأبي مليكة وثابت، وروى عنه ابن المبارك ويحيى بن سعيد ووكيع وعبد الرَّحمن بن مهدي وأبو نعيم وأبو الوليد وسليمان بن حرب. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، 140/3، والثقات للعجلي، 131/1.
(96) ينظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، 133-134.

(97) الكتاب، 431/3.
(98) المصدر نفسه، 487/3.
(99) المصدر نفسه، 546/3.
(100) الكتاب، 79/4.
(101) المصدر نفسه، 164/4.
(102) النحو العربي، العلة النحوية نشأتها وتطورها، 64.
(103) ينظر: أسلوب التَّعليل في اللغة العربية، 20-21.

المصادر والمراجع

1- أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن المرزبان السيرافيّ (ت 368هـ)، تح: طه محمَّد الزينيّ، ومحمَّد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مصطفى محمَّد الحلبيّ.
2- أسلوب التعليل في اللغة العربية، أحمد خضير عباس، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1428هـ – 2007م.
3- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركليّ، (ت 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط/15، 2002م.
4- الأغاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصبهانيّ (ت نحو: 360هـ)، مطبعة التَّقدُّم – القاهرة.
5- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف القفطيّ، (ت 646هـ)، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر – القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط/1، 1406هـ – 1982م.
6- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان.
7- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، مجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت 817هـ)، اعتنى به وراجعه: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية – بيروت، ط/1، 1422هـ – 2001م.
8- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، المفضل بن محمَّد بن مسعِّر التنوخيّ (ت 442هـ)، تح: د. عبد الفتاح محمَّد الحلو، دار هجر – القاهرة، ط/2، 1412هـ – 1992م.
9- الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح العجليّ (ت 261هـ)، دار الباز، 1405هـ – 1984م.

Published by Arab Journals Platform, 2019

10- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمَّد بن إدريس المعروف بـابن أبي حاتم (ت 327هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/1، 1271هـ – 1952م.
11- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، عبد العال سالم مكرَّم، مؤسسة الرسالة.
12- الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جنِّي (ت 392هـ)، تح: محمَّد علي النجار، عالم الكتاب – بيروت، ط/2، 1431هـ – 2010م.
13- الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين والانتصاف من الإنصاف، د. محمَّد خير الحلواني، دار القلم العربي – حلب.
14- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي – بيروت، ط/2، 1406هـ – 1986م.
15- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، أبو الطيب محمَّد بن أحمد بن عليّ الفاسيّ (ت 832هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1410هـ – 1990م.
16- سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جنِّي (ت 392هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1421هـ – 2000م.
17- سير أعلام النبلاء، محمَّد بن أحمد بن قايماز الذهبيّ، (ت 748هـ)، دار الحديث – القاهرة، 1427هـ – 2006م.
18- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، (ت 1315هـ)، قدم له وعلق عليه: محمَّد بن عبد المعطي، خرَّج شواهده ووضع فهارسهه: أبو الأشبال أحمد بن سالم المطيريّ، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع.
19- شرح أبيات سيبويه، أبو سعيد السيرافيّ (ت 368هـ)، تح: محمَّد عليّ الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر – القاهرة، 1494هـ – 1974م.
20- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، عليّ بن محمَّد بن عيسى الأشمونيّ (ت900هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1419هـ – 1991م.
21- شرح المعلقات، السبع، الحسين بن أحمد الزوزنيّ، دار الفكر – بيروت، 1431هـ – 2010م.
22- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن عليّ بن يعيش (ت 643هـ)، قدم له: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت.
23- شرح تصريف العزي، الشَّريف عليّ بن محمَّد بن عليّ الجرجاني، (ت 816هـ)، تح: محمَّد الزفزاف، قدَّم له وعرَّف به: عادل عبد المنعم أبو العباس، دار الطلائع – القاهرة.
24- شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي (ت 686هـ)، تح: محمَّد نور الحسن، محمَّد الزفزاف، محمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، 1395هـ – 1975م.
25- الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت 276هـ)، دار الحديث – القاهرة، 1423هـ.
26- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس القزوينيّ (ت395 هـ)، الناشر: محمَّد عليّ بيضون، ط/1، 1418هـ – 1997م.
27- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوريّ (ت 261هـ)، تح: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
28- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)، تح: محمود محمَّد الطناجي ود. عبد الفتاح محمَّد الحلو، دار هجر، ط/2، 1413هـ.
29- طبقات النحويين واللغويين، سلسلة ذخائر العرب – 50، محمَّد بن الحسن الزبيديّ (ت 379هـ)، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط/2.
30- طبقات فحول الشعراء، محمَّد بن سلَّام الجمحي، (ت 231هـ)، تح: محود محمَّد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة.
31- العقد الفريد، أحمد بن محمَّد بن عبد ربه (ت 328هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1404هـ.
32- العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت 175هـ)، تح: د.مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرائيّ، دار الهلال.

33- الكتاب، سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، تح: عبد السلام محمَّد هارون، عالم الكتاب – بيروت.
34- لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن عليّ بن منظور (ت 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط/3، 1414هـ.
35- المدارس النحوية، خديجة الحديثي، مؤسسة الرافدين للمطبوعات – بغداد، ط/1، 1434هـ – 2012م.
36- المدارس النحوية، شوقي عبد السَّلام ضيف، (ت 1426هـ)، دار المعارف – القاهرة.
37- مراتب النحويين، عبد الواحد بن عليّ أبي الطَّيب اللغويّ، (ت 351هـ)، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها – القاهرة.
38- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي (ت 911هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1418هـ – 1998م.
39- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن محمَّد بن حنبل (ت 241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1421هـ – 2001م.
40- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسيّ، (ت 437هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/2، 1405هـ.
41- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، كامل سلمان الجبوري، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1424هـ – 2003م.
42- معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (ت 626هـ)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت.
43- المقتضب، محمد بن يزيد المبرّد، (285هـ)، تح: محمَّد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتاب – بيروت.
44- المنصف، شرح ابن جنِّي لتصريف المازنيّ، أبو الفتح عثمان بن جنِّي (ت 392هـ)، تح: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم – القاهرة.
45- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الظاهري (ت874هـ)، تح: محمَّد أحمد أمين، الهيئة المصرية العامَّة.
46- النحو العربي العلَّة النحوية نشأتها وتطورها، د. مازن المبارك، دار الفكر – بيروت، ط/3، 1393هـ – 1994م.
47- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات بن الأنباريّ، (ت 577هـ)، تح: إبراهيم السامرائيّ، مكتبة المنار – الأردن، ط/3، 1405هـ – 1985م.
48- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن أيبك الصفديّ، (ت 764هـ)، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ – 2000م.
49- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن خلكان البرمكيّ، (ت681هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

Published by Arab Journals Platform, 2019